﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾

مِفْتَاحُ الهِدايَة

مِفْتَاحُ الهِدايَة

هـو مِفتـاحُ معرفـةِ طريـق اللـه، والسـيْر خلـف رسـولِ اللـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هـذا الصـراط المسـتقيم هـو السـبيل الموصّل إلى مرضاة الله، ولا يُهتدَى إليه إلا بمعرفة وحيه حقَّ المعرفة، وسلوكه حقَّ السلوك، ولذا فسَّر كثيرٌ مِن العُلماء الصراطَ بالإسلام وبالقرآن؛ لأن طريـق العبُوديَّـة لا يمكن سـلوكه إلا بتحقيق إسـلام الوجه لله بصـدق وإخلاص وفق مدلـول وحيه مِن كتابٍ وسُـنَّة؛ فاختارَ اللهُ لعبـادِه هذا الشـعار العظيـم المبـارك ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ليتضرَّعـوا بـه كل وقـت وينحصـر عملهـم وإخلاصهم لـه وتدوم صلتهم معه، فينجوا مِن التخبُّطِ والوقوع في ظُلماتِ التيه.

فحاجةُ الإنسانية اليوم وفي كل حين إلى الهِدايةِ أشدُّ مِن الطعام والشـراب والدواء؛ لأنهـا هي الغـذاء المعنوي والـدواء الروحي، وعلى هذا فالعبد مُضطر غاية الاضطرار دائمًا إلى أن يهديَه الله إلى

صراطه المستقيم ودينِه القويم، حتى لا يقع في المَتاهات الفكرية والانحرافات الحزبية والضلالات الأخلاقية.

فصدقُكَ أيُّها المسلم مع الله بضراعتِك إليه بـ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يُنجيك مِن مخاطر الدُّنيا والآخرة، فسلوك صراط الله هو النَّجاة، مَن سلَكَه فهو معصومٌ مِن الضلال والالتباس، ومَن حادَ عنه وقع في كثيرٍ مِن المتاهاتِ المُهلكة والسُّبُلِ الشائكة.

وهل في نِعَمِ الله بهذه الحياة شيءٌ أعظمُ مِن نِعمة الهداية حتى النهاية، والثبات على الصراط حتى الممات؟! ذلك النُّور العظيم الذي ليس بعدَه إلَّا تيه الضلال وجحيم الظلمات! فالعبدُ عاجزٌ عن معرفةِ طريق الحق بحولِه وقوتِه، وإذا عرفَه فعاجزٌ عن التوفيق لذلك، وإذا وُفِّق فعاجزٌ عن الثبات عليه ولزومه، فهو يسأل ربَّه الهدايةَ في كل حال إذ هو لا يملك نفسَه وقلبَه، فقد يُسلب منه الإيمان مِن حيث لا يشعر وكثير ما هم، ثبَّتنا اللهُ وإياك على صراطه المستقيم.

والهداية في اللغة: تعني الدلالة والإرشاد.

مصدر هدَى: إرشاد ودلالة على ما يوصل إلى المطلوب.

هدَى يَهدي، اهْدِ، هُدًى وهَدْيًا وهِدايةً، فهو هادٍ، والمفعول مَهدِيّ.

هدَى الحائرَ: أرشدَه ودلَّه، عكسه أضلَّه.

هدَى هَدْيَ فلانٍ: أي سار سيْرَه، واسترشد به.

فالهداية هي معرفة الطريق الصحيح الموصل إلى الله تحقيقًا، والاستقامة على مِنهاجِه تثبيتًا، كما قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سَلِ اللهَ تَعَالَى الْهُدَى، وَالسَّدَادَ، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَاذْكُرْ بِالسَّدَادِ تَسْدِيدَكَ السَّهْمَ**»[١].

أي: اهْدِني هِدايةً لا أَميلُ بِها إلى طَرَفَيِ الإِفْراطِ والتَّفْريطِ، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ**»؛ أن تذكر في حال دُعائك الهداية مَن ركب متن الطريق لا يكاد يُفارق الجادَّة، ولا يعدِلُ عنها يمنة ويسرة خوفًا مِن الضلال، وبذلك يُصيب الهداية، وينال السَّلامة، يقول: إذا سألت اللَّه تعالى الهُدى، فاخطر بقلبك هداية الطريق، وسل اللَّه الاستقامة، كما تتحرَّاه في هداية الطريق إذا سلكتها[٢].

فالهدايةُ هي قصَّةُ حياتِك، وبُوصلةُ طريقِك، ومِصباحُ سيْرِك،

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) معالم السُّنن للخطَّابي.

ولا ينالُها إلا مَن سعى إليها؛ وجَدَّ في طلبِها ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وكما جاء في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»(١).

لذلك كان مِن الضروري ذكْر مَراتِب الهداية كما وردَتْ في القرآن الكريم، وتتلخَّص في أربع مَراتِب؛ هي:

أولًا: الهداية العامَّة:

وهي هداية عامَّة لجميع الكائنات، فاللهُ قد هَدَى كلَّ نفس إلى ما يُصلِح شأنها ومعاشها، وفطَرَها على جلْب النافع، ودفْع الضارِّ عنها، وهذه أَعمُّ مَراتِب الهداية.

واللـه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١ - ٣]، وهذه الحقيقة الكُبرَى ماثِلَة في كلِّ شيء في هذا الوجود، يشهَد لها كلُّ شيء في الوجود مِن

(١) مسلم.

الكبير إلى الصغير، كلُّ شيء مُسَوَّى في صنعته، كامل في خلقته، مُعَدٌّ لأداء وظيفته، مُقَدَّر له غايتُه ووجودُه، وهو مُيَسَّر لتَحقِيق هذه الغايَة مِن أَيسَر طريق، وجميع الأشياء مُجتَمِعة كاملة التناسُق مُيَسَّرة لكي تُؤَدِّي في تجمُّعها دَورَها الجماعيَّ مثلما هي مُيَسَّرة فُرادَى لكي تُؤَدِّي دَورَها الفرديَّ، وهذا واضحٌ في الكون المشهود في الذَّرَّة المفردة، والمجموعة الشمسية، كذلك بين الخلية الواحدة، وأَعطَى الكائناتِ الحيَّةَ درجاتٍ مِن التنظيمات والتركيبات تدلُّ على الكمال الخلقي والتدبير والتقدير.

هذه الحقيقة العميقة الشاملة لكلِّ ما في الوجود يُدرِكها الإنسانُ ببَصَرِه وبَصِيرته، وبعِلمه وملاحَظتِه وتجربتِه، ويستَطِيع البشَر مِن خِلال العالَم المشهود أن يَتَعرَّف على تسوِيَة اللهِ وهدايتِه لكُلّ شيء مِن خلال عالَم النبات والحشرات والطيور والحيوان... إلخ.

ثانيًا: هداية الدلالة والبيان، والإرشاد والتعليم:

وهذا النوع هو وظيفة الرسُل والكتب المُنزَّلة مِن السماء، وهو خاصٌّ بالمكلَّفين، وهذه الهداية هي التي أثبَتَها لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ

وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، كما أنَّ هذا النوع مِن الهداية أخصُّ مِن التي قبْلَها، فهي مصدر التكليف ومَناطُه، وبها تقوم حُجَّة الله على عِباده؛ فإنَّ الله تعالى لا يُدخِل أحدًا النَّار إلا بعد إرسال الرسُل الذين يُبيِّنون للنَّاس طريق الغيِّ مِن الرشاد.

والله تعالى لم يمنع أحدًا هذه الهداية، ولم يَحُلْ بين أحدٍ مِن خلْقه وبين هذه الهداية، بل خلَّى بينهم وبينها، ومَنَحَهم مِن الوَسائل والأدوات التي تُساعِدهم على تقبُّلها والاستِفادة بها؛ كالعقل والفطرة، وأقام لهم بذلك أسبابَ الهداية ظاهرةً وباطنةً، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بَيَّنَّا لهم ودعوناهم، فاستحبُّوا العَمَى على الهدى؛ أي: بصَّرناهم وبيَّنَّا ووضَّحنا لهم الحقَّ على لسان نبيِّهم صالح، فخالَفُوه، وكذَّبُوه، وعَقَروا ناقة الله تعالى، التي هي بُرهان على صدْق نبيِّهم، فعَدَمُ الاهتِداء واقِعٌ بسبب القُصُور الحادِث في المحلِّ القابِل للأثر وهو الإنسان، وليس في قُصُور السبب، فكانت النتيجة أنْ أضلَّهم اللهُ عقوبةً على ترْك الاهتِداء، وعدم الاستِجابة لما جاءَتْ به الرسُل.

ثالثًا: هداية التوفيق والمعونة:

وهـذه الهِدايـة أَخَصُّ مِن التـي قبْلها، فهي هدايـةٌ خاصَّة تأتي بعـد هداية البيان؛ تحقيقًا لقولـه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريـم: ٧٦]، فلا تكون لملَكٍ مُقرَّب، ولا نبيٍّ مُرسَـل، إنما هـي خاصَّة بالله وحـدَه، فلا يَقْدِر عليها إلا هو، ولا يُعطِيها إلا لِمَن حقَّق شروطها واستَوفَى أسبابها.

وهذا النوع مِن الهداية هو الذي نَفَاه الله عن نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦].

رابعًا: الهداية إلى الجَنَّة والنَّار يوم القيامة:

وهذه المرتبة، آخِر مَراتِب الهداية، وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجَنَّة، وهو الصراط المُوصِل إليها، فمَن هُدِي في هذه الدار الدُّنيا إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسُله وأنزل به كُتبه، هُـدِي يوم القيامة إلى الصراط المستقيم، المُوصِـل إلى جَنَّته ودارِ ثوابـه، وعلى قدْر ثُبُوت قدَم العبد، وسَـيْرِه على هذا الصراط الذي نصَبَه الله لعباده في هذه الدار الدُّنيا، يكُون ثُبُوت قدَمه وسَيْره على

الصراط المنصوب على متْنِ جهنَّم أعاذنا اللهُ منها؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأنهم: ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٤ - ٦]، فهذه هداية بعد قتلهم؛ ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾؛ أي: إلى الجَنَّة، وذلك يفسِّره قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩].

هذه هي الهداية، أمَّا الصراط فقد أخبرنا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنه ليس هناك إلا طريق واحد يؤدي إلى مراضيه، ألا وهو: الصراط المستقيم والطريق الواضح البيِّنُ الذي لا اعوجاج فيه، هذا الطريق المستقيم ينبغي على المسلم أن يعرفَه جيدًا ويُميِّزه مِن بين الطرُقِ الأخرى المُحيطة به، وأن يسير فيه طيلة حياته حتى يلقى ربَّه ومولاه.

قالَ الله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فمَـن رجـا أن يهتـدي بغير هَدي اللـه فقد ضل ضـلالًا بعيدًا، وهكذا نجد أنَّ الصراط المسـتقيم، الذي ندعو اللّه أن يهدينا لنسير نحوه، هو دين اللّه الذي أنزله على رسـوله في كتابه، وفي ما أوحى به إليه مِن شريعته ومنهجه الحق، الذي أراد اللّه لنبيه الاستقامة عليه في خط الدعوة إليه مِن دون تغيير ولا تبديل.

وعَـنْ عَبْـدِ اللَّـهِ بـن مَسْـعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: خَـطَّ رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَـبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا**»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ خطوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلاَّ عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1].

وعَـنِ النَّوَاسِ بْنِ سَـمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْـتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُـورَانِ فِيهِمَا أَبْـوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُـتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَـى بَابِ الصِّـرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيُّهَـا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّـرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَعَوَّجـوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَـيْئًا مِنْ تِلْـكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّـكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ وَالصِّرَاطُ**

---

(١) النسائي.

الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

في هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثلًا**»، أي: بيَّن مَثلًا لعِبادِه، وَمِن الأساليبِ التي امتازَ بها البَيانُ في القُرآنِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ: ضَربُ الأمثالِ لِتَقريبِ المفاهيمِ للنَّاسِ عندَ وَعْظِهم وتَعليمِهم، «**صِراطًا مُستقيمًا**»، وهو: الطَّريقُ المُمتَدُّ الَّذي لا اعوِجاجَ فيه، «**وعن جَنبَتَيِ الصِّراطِ**»، أي: على طَرَفَيْ أو جانِبَيْ هذا الطَّريقِ، «**سُورانِ**»، أي: جِدارانِ يُحيطانِ به مِن جِهَتَيه، «**فيهما**»، أي: يتَخلَّلُ هذينِ الجِدارَينِ «**أبوابٌ مُفتَّحةٌ، وعلى الأبوابِ سُتورٌ**»، جمعُ سِتْرٍ، «**مُرخاةٌ**»، أي: مُرسَلةٌ، والمعنى: أنَّه مُلْقًى على تلك الأبوابِ ستائِرُ لا تُظهِرُ للمارِّ مِن على الصِّراطِ مَن بداخِلِها، «**وعندَ رأْسِ الصِّراطِ داعٍ**»، أي: في أوَّلِه، والمرادُ بالدَّاعي: هو مَن يُرشِدُ للنَّاسِ أمْرَهم على هذا الطَّريقِ، وهذا الدَّاعي يقولُ للناسِ: «**استَقيموا على الصِّراطِ ولا تَعْوَجُّوا**»، أي: سِيروا عليه دونَ أنْ تَميلوا إلى الأطرافِ والجوانبِ، «**وفوقَ ذلك داعٍ يَدْعو**»، أي: وهناك داعٍ آخَرُ فوقَ الدَّاعي الَّذي يَدْعو النَّاسَ على رأْسِ الصِّراطِ؛

---

(١) صحيح الجامع.

وهـذا الدَّاعـي: «**كلَّما همَّ عبْـدٌ**»، أي: قصَدَ وأراد «**أنْ يَفتَحَ شـيئًا**»، أي: قدْرًا يَسيرًا «**مِن تلك الأبوابِ**»، أي: مِن سُتورِها، «**قال له**»، أي: هـذا الدَّاعي: «**وَيلَك**» وهي كلمةُ تَرحُّمٍ وتَوجُّـعٍ تُقال لمَن وقَعَ في هلَكةٍ لا يَستحِقُّها، ثم استُعمِلَت لِمُجرَّدِ الزَّجْـرِ، «**لا تَفتَحْه**»، أي: زجَـرَه عـن فتْحِه لهذه الأبوابِ، وحذَّرَه مِن ذلـك؛ «**فإنَّك إنْ تَفْتَحْه تَلِجْهُ**»، أي: لو فتَحْتَ هذه الأبوابَ لنْ تَستطيعَ أنْ تُمسِكَ نفْسَك عن الدُّخولِ، «**ثم فسَّره**»، أي: فسَّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المَثَلَ؛ «**فأخبَرَ أنَّ الصِّراطَ هو الإسلامُ**»؛ وهو طريقٌ مُستقيمٌ، والمطلوبُ مِن العبْدِ الاستقامةُ عليه، «**وأنَّ الأبوابَ المُفتَّحةَ مَحارِمُ اللهِ**»، أي: الأمورُ التي حرَّمَها، والشُّبهاتُ الَّتي نَهى عنها العِبادَ؛ فإنَّها أبوابٌ للخُروجِ عن كَمالِ الإسلامِ والاستقامةِ، والدُّخولِ في العذابِ والمَلامةِ، فلا يقَعُ أحَدٌ في حُدودِ اللهِ حتَّى يُكشَفَ السِّترُ الَّذي على تِلك الأبوابِ؛ فمَن انتَهَكَ المحارِمَ هتَكَ السُّتورَ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ [البقرة: ١٨٧]، «**والدَّاعي على رأْسِ الصِّراطِ هو القرآنُ**» يَدْعو الناسَ إلى الاستقامةِ على أمْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ بما فيه مِن أوامِرَ ونواهٍ، وإرشاداتٍ وآدابٍ، وغيرِ ذلك ممَّا بـه يكونُ صلاحُ الناسِ وهِدايتُهم، «**والدَّاعي مِن فوقِه هو واعظُ اللهِ فـي قلْـبِ كلِّ مُؤمـنٍ**»، قِيل: هـي لَمَّةُ الملَـكِ في قَلْـبِ كلِّ مُؤمنٍ، واللَّمَّةُ الأُخرى هي لَمَّةُ الشَّيطانِ.

وفي الحديثِ: الأمرُ باتِّباعِ القُرآنِ وما جاء فيه مِن أوامِرَ ونَواهٍ، والنَّهيُ عن الوُقوعِ في مَحارِمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا الإنسان الحائرُ في غياهِب الظُّلمات، التائهُ في صحراء التيه، الغارقُ في بحار الأوهام، السَّائرُ في طريق المجهول، هذا الإنسان المُتطلّع إلى مشارق النُّور في الغيب ليكتشفها في عقله وقلبه وحياته، لا يأكل القلق روحه، بل يملأ الأمل عينيه؛ يُناجي ربّه في طفولة الإحساس الروحي بالفقر إليه، والذوبان في مواقع الشوق الباحث عنه، إنه يبحث عن الهدى في معرفة ربّه، ومعرفة مواقع عظمته، ومفردات نعمته، وما يريد له، وما يريده منه، وما يخطط له مِن خطط، وما يثيره في داخله مِن أشواق وتطلُّعات.

الحكمة من سؤال المسلم الهداية:

إذا قيل: المسلم مهتدٍ بإسلامه فما فائدة سؤاله الهداية؟

فالجواب: أن دخول المسلم في الإسلام هو أصل الهداية؛ لكنّه يحتاج إلى هداياتٍ كثيرة متنوّعة ومُتجدّدة، وبيان ذلك مِن وجوه:

① أنَّ الهدايةَ قائمة على العلم والعمل، وهما يتفاضلان؛ فيحتاج المؤمن إلى البصيرة في الدين، وإلى الإعانة على الطاعة، والعصمة مِن الضلالة في كلّ أمرٍ مِن أموره.

② أنَّ الهدايةَ الإجماليَّة لا تُغني عن الهداية التفصيليَّة.

③ أنَّ القلبَ يتقلَّب، وحاجة العبد إلى سؤال الله تعالى التثبيت والهداية دائمة مُتجددة.

④ أنَّ الفتنَ التي تعترض المؤمن في يومه وليلتِه كثيرة متنوّعة ومَن لم يهدِه اللهُ ضلَّ بها، وكم أصابت الإنسان المقصّر مِن فتنة تضرر بها وبعقوباتها، ولو أنَّه أحسن الاستعاذة بالله منها وسؤاله الهداية لَسَلِم مِن شرٍّ كثير.

⑤ أنَّ لكل عبدٍ حاجات خاصَّة للهداية، بما يُناسب حاله، فهو محتاج إلى أن يمدَّه اللهُ بتلك الهدايات، وإن لم يهدِه اللهُ لم يهتد.

لذلك علَّمَنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف نطلُبُ الهِداية مِن الله في كُل أُمُورِ الحياة، فكان مِن أدعيته لطلبِ الهِداية ما يلي:

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهذا الدُّعاءِ: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الهُدَى والتُّقى والعفافَ والغِنى**»[1].

---

(١) صحيح مسلم.

عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بأَيِّ شيءٍ كانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قالَتْ: كانَ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ، إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(١).

عن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: علَّمني رسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلماتٍ أقولُهنَّ في الوترِ، قالَ ابنُ جوَّاسٍ: في قنوتِ الوترِ: «**اللَّهُمَّ اهدِني فيمَن هديتَ، وعافِني فيمَن عافيتَ، وتولَّني فيمَن تولَّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، إنَّكَ تقضي ولا يُقضى عليكَ، وإنَّهُ لا يَذلُّ مَن واليتَ، ولا يعزُّ مَن عاديتَ، تبارَكتَ ربَّنا وتعَاليْتَ**»(٢).

عَن عبدِاللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو يقولُ: «**ربِّ أَعِني ولا تُعِنْ عليَّ، وانصُرني ولا تنصُرْ عليَّ،**

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) أخرجه أبو داود.

وامكُرْ لي ولا تمكُرْ عليَّ، واهدِني ويَسِّرِ ليَ الهُدى، وانصُرني على مَن بغى عليَّ، ربِّ اجعلْني لك شَكَّارًا، لك ذَكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، لك مُخبِتًا، إليك أَوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّلْ تَوْبتي، واغسِلْ حَوبَتي، وأَجِبْ دَعْوتي، وثَبِّتْ حُجَّتي، وسَدِّدْ لساني، واهدِ قلبي، واسلُلْ سَخيمةَ صدْري»(١).

وأختمُ هذه الفقرة بكلامٍ قيِّم للإمام ابن القيِّم في فضل هذا الدُّعاء الجامع ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ وحاجة العبد إليه في كل أحواله وأزمانه حيث قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِذَلِكَ اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعَبْدِ بَلْ ضَرُورَتُهُ، إِلَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا.

فَإِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ يَتَضَمَّنُ: عُلُومًا، وَإِرَادَةً، وَأَعْمَالًا، وَتُرُوكًا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً تَجْرِي عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَتَفَاصِيلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَدْ يَعْلَمُهَا الْعَبْدُ وَقَدْ لَا يَعْلَمُهَا، وَقَدْ يَكُونُ مَا لَا يَعْلَمُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَمَا يَعْلَمُهُ قَدْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ

---

(١) صحيح الترمذي.

الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ، وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَدْ تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَقَدْ لَا تُرِيدُهُ كَسَلًا وَتَهَاوُنًا، أَوْ لِقِيَامِ مَانِعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا تُرِيدُهُ قَدْ يَفْعَلُهُ وَقَدْ لَا يَفْعَلُهُ، وَمَا يَفْعَلُهُ قَدْ يَقُومُ فِيهِ بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ وَقَدْ لَا يَقُومُ، وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ قَدْ يَقُومُ فِيهِ بِكَمَالِ الْمُتَابَعَةِ وَقَدْ لَا يَقُومُ، وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِالْمُتَابَعَةِ قَدْ يَثْبُتُ عَلَيْهِ وَقَدْ يُصْرَفُ قَلْبُهُ عَنْهُ، وَهَذَا كُلُّهُ وَاقِعٌ سَارٍ فِي الْخَلْقِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ.

وَلَيْسَ فِي طِبَاعِ الْعَبْدِ الْهِدَايَةُ إِلَى ذَلِكَ، بَلْ مَتَى وُكِلَ إِلَى طِبَاعِهِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ الْإِرْكَاسُ الَّذِي أَرْكَسَ اللَّهُ بِهِ الْمُنَافِقِينَ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَعَادَهُمْ إِلَى طِبَاعِهِمْ وَمَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَجَعْلِهِ الْهِدَايَةَ حَيْثُ تَصْلُحُ، وَيَصْرِفُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِعَدَمِ صَلَاحِيَةِ الْمَحَلِّ، وَذَلِكَ مُوجِبُ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوصِلُهُمْ إِلَيْهِ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَنَصَبَ لِعِبَادِهِ مِنْ أَمْرِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا دَعَاهُمْ جَمِيعًا إِلَيْهِ حُجَّةً مِنْهُ وَعَدْلًا، وَهَدَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ إِلَى سُلُوكِهِ نِعْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهَذَا الْعَدْلِ وَهَذَا الْفَضْلِ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ لِقَائِهِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، ثُمَّ صَرَفَ عَنْهُ مَنْ صَرَفَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ أَقَامَهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، نُورًا ظَاهِرًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ فِي ظُلْمَةِ الْحَشْرِ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ نُورَهُمْ حَتَّى قَطَعُوهُ كَمَا حَفِظَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ حَتَّى لَقُوهُ، وَأَطْفَأَ نُورَ الْمُنَافِقِينَ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ، كَمَا أَطْفَأَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَأَقَامَ أَعْمَالَ الْعُصَاةِ بِجَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبَ وَحَسَكًا تَخْطِفُهُمْ كَمَا خَطِفَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ قُوَّةَ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتَهُمْ عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَنَصَبَ لِلْمُؤْمِنِينَ حَوْضًا يَشْرَبُونَ مِنْهُ بِإِزَاءِ شُرْبِهِمْ مِنْ شَرْعِهِ فِي الدُّنْيَا، وَحَرَمَ مِنَ الشُّرْبِ مِنْهُ هُنَاكَ مَنْ حُرِمَ الشُّرْبَ مِنْ شَرْعِهِ وَدِينِهِ هَاهُنَا.

فَانْظُرْ إِلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ، وَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الدَّارَيْنِ، تَعْلَمْ حِينَئِذٍ عِلْمًا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ

الْآخِـرَةِ وَعُنْوَانُهَـا وَأُنْمُوذَجُهَـا، وَأَنَّ مَنَازِلَ النَّاسِ فِيهَا مِنَ السَّـعَادَةِ وَالشَّـقَاوَةِ عَلَى حَسَـبِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِـي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَضِدِّهِمَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ؛ الْخُرُوجُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْـتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)[1].

فيـا ربِّ قَد سـلَّمنا لهُداك، وقرَّرنا ألاَّ نعبُدَ إلاَّ إيَّاك؛ ولا نسـأل الهِدايَةَ مِن سـواك! فكَفى بِكَ هادِيًا ونصيرًا، أنتَ الذي تقُول الحقَّ وأنتَ وحدَك تهدي السَّـبيل، نسـأَلُكَ الهِداية حتـى النهاية والثبات على الصراط حتى الممات، ولكن يا ربِّ ما المَخرَجُ مِن الظُّلماتِ الحَوالِـك إلى نُـورِك المُبين؟! إلـى أينَ نلتَجِئ؟ وبِم نستَمسِـك؟! وبِمَن نقتدِي؟!

فجاء الجوابُ في المِفتاح السادس...

(١) الداء والدواء.